جامعة محمد خيضر بسكرة

مقياس الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية

سنة ثانية ليسانس علم الاجتماع

من إعداد الأستاذة حسني هنية

المحاضرة التاسعة والعاشرة :

هناك نظريات كثيرة في ألنثروبولوجيا نظرت إلى مختلف جوانب حياة الإنسان، سواء أكانت ثقافية، سياسية، اجتماعية، اقتصادية، جمالية او فنية...الخ. ولكل منها رؤيتها وموقفها ومنهجها وتفسيرها لهذه الجوانب والمجالات، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن هذه النظريات تدل على حيوية وفاعلية البحث ألنثروبولوجي، وعلى انه بحث متواصل ومستمر يتكيف مع التغيرات ويبدع حولها تنظيرات ومفاهيم ومناهج.

النظرية التطورية:

يرجع المؤرخون تاريخ نشأة الاتجاه التطوري إلى الفترة الممتدة ما بين 1860 و1900 مستلهمين في ذلك نتائج الدراسات **الداروينية** في المجال البيولوجي التطوري كما حددها صاحبها العالم الشهير داروين والتي يمكن تلخيصها في العناصر الثالثة التالية:

1.إن جميع أشكال الحياة تتغير وتنتج أشكال جديدة باستمرار. .

2- بعض هذه الأشكال أكثر ملائمة مع الظروف البيئية من غيرها.

3- إن الأشكال الأكثر ملائمة للبقاء والحياة تبقى وتستمر، أما الأخرى فيقضى عليها.

تنطلق هذه النظرية من فكرة أساسية وهي أن المجتمع يشبه العضوية الحية)الجسم الحي)دون أن تهمل هذه النظرية التطو ارت التي تحدث للمجتمع، وهي بذلك تشبه تطور الجسم الحي، وتضيف هذه النظرية أنه حتى الصفات المعنوية مثل: الثقافة والتقاليد، العادات والأعراف

تورث كما تؤرث الصفات البيولوجية، وهذا ما يساعد هذه النظرية في تحسين تقنيات تنظيم المجتمعات من خلال مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية .ويعتبر **مورغان لويس مورغان(1818-1881):**ينقسم تاريخ الإنسانية إلى ثلاث مراحل كبرى:الوحشية ،البربرية المرحلة الحضارية .

و لعل ما يمكن الإشارة عليه بصورة عامة أن الفكر الاجتماعي التطوري يرى أن جميع المجتمعات البشرية، نظمها الاجتماعية تتغير، وهي في تغيرها تمر بمراحل تطورية معينة، كل مرحلة منها تمثل انتقال المجتمع من حالة أقل رقيا إلى حالة أكثر رقيا وعليه تؤمن هذه النظرية بأن المجتمعات تنتقل باتجاه التقدم الدائم من البساطة البدائية إلى التعقيد، مثلما تتطور الأجراء العضوية في الكائن البيولوجي عندما ما ينمو، وحس

برز مجموعة من الباحثين الانثروبولوجيين الذين يعود إليهم فضل تأسيس البحث الالنثروبولوجي عامة والاتجاه الانثوبولوجي التطوري خاصة وعلى أرسهم "ادوارد تايلور" في دراساته العديدة حول الشعوب والثقافات حيث أبرز في مقارباته لتاريخ الشعوب أنه الفرق بين الشعوب في ذلك ما عدا أمر واحد وهو معدل السرعة التي ينتقل بها شعب من مرحلة تطورية إلى مرحلة تطورية أخرى هذه النظرية فإن التطور يتم عبر خط مستقيم ومتصاعد بحيث تشكل كل مرحلة أساسا لما بعدها.

من بينهم : **جامس فرازر:)1854-1941(FRAZER James**يلخص تاريخ الإنسانية في ثلاث مراحل كبرى :الشعوذة(السحر) ،الدين والعلم.فبخلاف قوانين العلم تعد قوانين الشعوذة، قوانين خيالية المرتكزة على الوهم .الروحانية.

فوفق هذه التصوارت تأسس الفكر الانثربولوجي التطوري والذي يعتقد إعتقادا مطلقا أن الظواهر الاجتماعية والثقافية غير ثابتة في الزمان والمكان. فهي في حركة دائمة ومستمرة ومن ثم فهي تنتقل من حالة إلى حالة أخرى بصورة طبيعية وذلك يعود أصال إلى طبيعة عناصرها... فأثناء حركتها قد تفقد بعضا من صفاتها وبعضا من أجزائها وتكتسب في المقابل صفات وأجزاء جديدة تماشيا مع المراحل التاريخية والاجتماعية والثقافية والجغرافية التي تحتضنها أو الإثم التي تساير تطورها ثانيا... إن الظواهر الاجتماعية والثقافية مهما كان إطارها وطبعها فهي دوما وابدا مرده العملية التطور والتغير وان ظاهرتي التطور والتغير يغذيانها ويلهمانها الحياة والاستمرار على عكس الظواهر الاجتماعية والثقافية المغلقة على نفسها وغير القابلة للتطور والتغيير فهي مرشحة للجمود والزوال والانقراض.

النظرية الانتشارية :

تنطلق من فكرة أن كل مجتمع اخترع مثلا النار، الحديد، الدين، والزراعة...تنتقل هذه الاختراعات و الأفكار والسمات الثقافية من محيط إلى محيط في العالم بأسره بواسطة الهجرة أو الطرق التجارية.

يعود أصل تسمية النظرية الانتشارية أو الاتجاه الانتشاري إلى طبيعة موضوعة ومقاصده المعرفية والمنهجية والإيديولوجية، فهو اتجاه أنثروبولوجي يعني بمتابعة النماذج والظواهر الثقافية والاجتماعية التي ظهرت في منطقة جغرافية وثقافية واجتماعية ومن إبداع شعب بعينه ثم انتشرت وشاعت متعدية حدود فضاء نشأتها الأصلي وذلك نتيجة تفاعل عدد من الأسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية.

- يحاول الأنثروبولوجيون الانتشارين من جهتهم تحديد أماكن الثقافة وتوضيح كيف تم انتشار هذه السمات من خلال هذه الأماكن، لذا هم يعارضون فكرة أن الإنسان هو فرد ابتكاري - .يرى التطوريون مثلا أن المرور من مرحلة إلى مرحلة أخرى يتم بواسطة ابتكار وسائل جديدة، أفكار جديدة، مؤسسات لم تكن موجودة، مثلا ابتكار كل مجتمع للنار، للحديد...في الوقت الذي يرى الانتشاريون أن كل ابتكار يأتي من مكان واحد فقط.إن الابتكارات ليست بظواهر منتجة بطرق مستقلة في أماكن مختلفة في العالم.

إن التاريخ الحديث مثلا الآلة البخارية، التلغراف، السيارة أو الهاتف هي مؤشرات تفند الفكرة التطورية - .إن الانتشار ليس بانتشار أوتوماتيكي وأن كل مجتمع يمكنه إجراء انتقاء لبعض العناصر المقترحة إليه من الخارج، كما يمكنه تحوير كل سمة ثقافية دخيلة.

وبصفته عامة فإن الاتجاه الانثروبولوجي الانتشاري يتابع الانتشار الثقافي الذي يعني انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع إلى آخر، وذلك كأن يستعير مجتمع من مجتمع آخر بعض نماذجه الثقافية أو أدواته أو نظمه يستخدمها في حياته بطريقة تتلاءم مع ظروفه الاجتماعية وبيئته الطبيعية المحيطة، وقد يأخذ مجتمع ما بعض النماذج دون تحوير أو تغيير، أي يقوم باستخدامها كما هي .وال يوجد الاتجاه الانتشاري في الانثروبولوجيا الثقافية وحسب بل يوجد أيضا في الانثروبولوجيا الاجتماعية الي أنه يأخذ طابعا خاصا كل منهما. فتطبيق الاتجاه الانتشاري في مجال الانثروبولوجيا الثقافية يتعلق بجمع العناصر الثقافية بما في ذلك العناصر التكنولوجية والفكرية، بينما يقتصر في مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية على العلاقات والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي تشمل بعض العناصر الثقافية لا تشملها كلها.

وعليه يمكننا القول أن الانتشار بصفة عامة، هو انتقال خاصيات النظام أو الظاهرة من منطقة إلى أخرى أو من قطاع إلى آخر، على أساس أداء الوظيفة وإشباع الحاجة، أما في التحليل االنثروبولوجي، فإن الانتشار يعني انتقال خاصيات النظم الثقافية من مجتمع إلى آخر أو من منطقة إلى أخرى عن طريق عملية الاتصال والاحتكاك بين الشعوب سواء عبر التجارة او الحروب أو الاحتلال أو وسائل الاتصال الأخرى

النظرية الوظيفية:

تعني النظرية الوظيفية او الاتجاه الانثروبولوجي الوظيفي بدراسة ما تؤديه العناصر الثقافية والاجتماعية من وظائف ضمن البناء الاجتماعي والثقافي الشامل، فيسعى الوظيفيون في مقاربتهم للظواهر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية إلى مبدأ التفتيت. وتجزئة الظاهرة إلى عناصر صغرى ومتابعة ما يؤديه كل عنصر من وظيفة سواء في إطاره المحدد أم في علاقته مع العناصر الأخرى وفق قانون التفاعل والانسجام الوظيفي ضمن السياق الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي أو الديني

وانطلاقا مما سبق: تعتبر الوظيفة أن كل مجتمع باعتباره نظام مؤسسات وممارسات لها دالاتها، قادر على الاستمرار في حركته وتحولاته والقيام بوظيفته رغم التغيرات الظاهرة داخليا وخارجيا على المستوى الشخصي وقادر على الممارسات غير المهمة، فالمجتمع ليس ركاما اال عضويا بل هو نظام وظيفي من المؤسسات تلبي حاجات إنسانية فالوظيفة الإنسانية والاجتماعية لهذه المؤسسات هي التي تعطيها شبه شرعيتها وديمومتها .يركز الوظيفيون نشاطهم على تحديد هوية وظائف العناصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية والفنية . إن المبدأ الأساسي الاتجاه الانثروبولوجي الوظيفي يتمثل في كونه التى يهتم بالبحث عن أصل الثقافة وال كيف تنتشر الثقافات وال غيرها من الموضوعات التي سيبحثها، وإنما يهتم بدراسة ما يسمى ديناميات الثقافة أي كيف تعمل الجزائر المختلفة التي تكون في مجموعها ثقافة ما، فهو يبحث في الوظائف التي تؤديها النظم المختلفة داخل الثقافة الواحدة، ويبين الوظائف التي تقوم بها السمات الثقافية ويدرس صلة هذه السمات بعضها ببعض وكيف تقوم كل منها بوظائفها.

أهم رواد النظرية الوظيفية **"برانسلو ما لينوفسكي"** الذي يؤكد من خلال نظريته الوظيفية و يركز على جانب تكيف المجتمع مع محيطه، أي أن الظواهر الاجتماعية الجزئية تؤدي وظائف جزئية معينة في إطار نسق من الظواهر التي تؤسس أو تبني وظيفة كلية وهي تكيف المجتمع مع محيطه، فالمؤسسات الاجتماعية كالمدرسة أو الجامعة تؤدي وظيفة جزئية وهي

التربية والتعليم، وهذه الوظيفة تتكامل مع وظائف أخرى لتحقيق الوظيفة الكلية وهي تكيف المجتمع مع المحيط.

أما ارد كليف ب ارون فهو أنثروبولوجي بريطاني قام بأبحاث ميدانية في جزرالندمان Andomanبين عامي 1906 و1908 وقام بأبحاث ميدانية كذلك على السكان الأصليين في استراليا بين عامي 1910 و.1911

يشبه الوظيفيون الانثروبولوجيون المجتمع بجسم الإنسان وأعضائه فهو، يتكون من مجموعة أعضاء والتي تحدد ما هيتها الي بما تؤديه من وظائف مكملة لبعضها البعض وأن أي خلل يصيب عضوا من هذه الأعضاء أو عرقلة في تأدية وظيفة قد يؤثر في النظام العام والشامل لكل الأعضاء الأخرى وبالتالي يؤثر سلبا في الجسم ككل، فالمجتمع يقوم أصال ويتكون من مجموعة من المظاهر والمؤسسات والممارسات والأنظمة، وبالتالي فإن كل هذه المظاهر والمؤسسات والأنظمة مرهونة من حيث الحركة والحضور ومن حيث الفعل والكينونة لما تؤديه وظائف تكسب المجتمع بناء محكما ومنسجما من حيث التكوين ومن حيث الوظيفة والديناميكية الشاملة، يذكرنا هذا التشبيه الذي ربط به الوظيفيون المجتمع بالجسم الإنساني بذلك التشبيه الذي صنعه العالمة مالينوفسكي بين الثقافة والكائن الحي فالثقافة برأيه عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل يماثل الكائن الحي، بحيث أنه ال يمكن فهم دور أو وظيفة أي عضو من أعضائه في ضوء عاقلته بباقي أعضاء الجسم، ومن خلال هذا التشابه بين الثقافة والكيان بباقي أعضاء الجسم للإنسان، فإن دراسة الدور والوظيفة التي يؤديها كل عنصر ثقافي تمكن الباحث من اكتشاف ماهيته وضرورته، فمفهموم الوظيفة في نظر مالينوفسكي يعني الدور أو الإسهام الذي يقوم به كل نظام اجتماعي في مجتمع ما سواء كان هذا المجتمع مجتمعا بسيطا أم مجتمعا مركبا.

النظرية البنيوية:

البنية هي مجموعة من العناصر الثابتة المنسجمة والمتجانسة في مابينها، وإذا حدث تغير في أحد عناصرها كان الخلل في مجموع البنية، مثال جسم الإنسان هو بينة تتكون من عناصر أي أعضاء كالقلب، الرئة، العين، الأذن...الخ فإذا حدث خلل في احدها اختلت البنية في مجموعه

يرتبط الاتجاه البنيوي باسم العالم الانثروبولوجي الشهير كلود ليفي ستراوس" وبأعماله العديدة والمتنوعة والتي صبت أغلبها في هذا الاتجاه حيث صنع منه كم من مرة عناوين على شاكلة

كتابه الشهير بجزئيه الأنثروبولوجيا البنيوية الجزء الأول والجزء الثاني، والذي ضمنه أغلب أفكاره وأطروحاته المعرفية والمنهجية ناهيك عن كتبه الأساسية والمهمة الأخرى والتي كتبها تحت وقع وإيقاع الاتجاه الانثروبولوجي البنيوي

ويمكن تعريف النظرية البنيوية بكونها "نظرية تحليل الظواهر الاجتماعية من خلال الخصائص الثابتة في بنائها النظمي وتفسير عالقات البنيات المشكلة لها. سواء كانت عالقات هذه البنيات في صورة احتكاك أو انسجام. وكانت انطلاقتها الأولى من البنيات اللغوية تم انسحبت على بنيات الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية،

والبنيوية اتجاه معرفي ظهر مع بداية القرن جذورها الفلسفية الأولى إلى الفكر الماركسي العشرين وعرف ازدهارا وتطورات سريعة بفضل تطو ر الدراسات اللسانية خاصة مع الباحث اللسني الشهير **"فردناندي سوسيير"** بأبحاثه الجليلة والقيمة في اللسانيات العامة، كما تطعمت الحركة البنيوية من حيث الطرح المعرفي والمنهجي واليديولوجي ببعض ما توصلت إليه الحركة الشكلانية الروسية في أبحاثها الإنسانية والاجتماعية وأخص بالذكر في هذا الصدد أعمال أحد الأقطاب البارزة في هذه الحركة وهو الفولكلوري **"فالديمير بروب"** بأبحاثه القيمة في مجال الأدب الشعبي عامة والحكاية الخرافية خاصة...

يتعامل المنهج البنيوي مع الظاهرة موضوع الدارسة كإطار عام وشامل تتحرك في داخله مجموعة من العناصر وفق قواعد ونظام ترابطي داخلي خاص ومميز بشكل بنية مستقلة وقائمة بذاتها وانطلاقا مما سبق فإن الاتجاه البنيوي هو طريقة جديدة للنظر إلى الأنشطة الفكرية والسلوكية للمجتمع والفرد وربط بعضها ببعض قديمها وحديثها، وأن يكون كل نشاط في حد ذاته نظاما متكاملا بقصد الاهتداء إلى النظام الكوني الأصيل والبناء الكلي للعقل البشري، تستطيع بذلك أن نصل إلى الحقيقة الكبرى التي تكشف القناع عن كثير من الأمور المعقدة

على المستوى الاجتماعي والفردي وعلى مستوى العلم الطبيعي والنتاج الفكري... فالبنيوية تبحث إذن على المستوى العميق كالذي تركز عليه الحضارات الإنسانية وذلك من خلال تجاوز الظاهر إلى الباطن.

وعليه فالانثروبولوجي البنيوي من الناحية المنهجية والمعرفية يعتبر الظواهر الاجتماعية

مستقلة عن خارجها وخاضعة لمنطق هو منطقها الخاص، وإنها تتشكل من جملة من العناصر المرتبطة فيما بينها ترابطا عضويا، وأي خلل يصيب عنصرا من هذه العناصر فقد يؤثر سلبا

على باقي العناصر الأخرى، وبالإضافة إلى أن العناصر هذه ال تأخذ معناها إال ضمن الصيرورة الشاملة والعامة للعناصر الأخرى، فالعنصر تتحدد دالاته ووظيفتيه في علاقته مع العناصر الأخرى ومع البنية الشاملة للظاهرة كلها.

ونشير إلى أن المبادئ الأساسية للاتجاه الانثروبولوجي البنيوي تكمن فيما يلي

- اعتبار الظاهرة موضوع الدراسة بنية مستقلة وخاضعة إلى منطق معرفي وثقافي واجتماعي والذي هو منطقها الخاص.
- .اعتبار الظاهرة الثقافية أو الاجتماعية بنية قائمة على مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها تفاعلا عضويا، وان أي خلل قد يصيب أي عنصر من عناصر البنية قد يؤثر في سالمة البينة وفي نظامها الداخلي والخاص.

كريمة شعبان، الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، محاضرات جامعة الجزائر 3